

الحفاظ على الشخصية الوطنية ، الدفاع عن الخصوصية المحلية ، الافتراق عن المستعمر والتمايز عنه ، وفي هذه المعركة رفع الانسان الافرو - آسيوي راية الاسلام والبوذية والفيديانتا وتحصن بالثيولوجيا البدائية ، اي ان الصراع القومي سار على ارضية دينية غالبا ، وتحرك مزودا بالشعور الديني الذي يستحيل في شروط معينة الي قوة جماعية وتوحيدية تؤطر المضطهدين لمواجهة المضطهدين .

ساعدت الشروط الاجتماعية - التاريخية في آسيا وافريقيا على انتشار نفوذ الايدولوجية الدينية ، فديانات هذه البلدان لا تخضع لمركز ديني اساسي كما هو حال المسيحية في الغرب ، بل هي ايدولوجيا يومية تعيشها الجماهير وتعيش فيها ، ايدولوجيا نظرية وعملية ، وقناة اساسية لنقل الافكار الاجتماعية والسياسية ، يضاف الي ذلك قلة عدد الطبقة العاملة وضعف تنظيمها في هذه البلدان ، وحدثة الاحزاب الماركسية فيها ، ومحدودية التقاليد العقلانية . وهكذا نرى ان ظاهرة التدين في ايدولوجيا حركة التحرر الوطني في بلدان آسيا وافريقيا ، نتيجة للشرط الاقتصادي - الاجتماعي وشاهد عليه ، وفي هذا الشرط يغيب التمايز بين العلاقات الطائفية - الدينية والعلاقات الطبقية والقومية ، الي درجة تصل فيها هذه العلاقات الي حدود التطابق احيانا .

ادت الممارسة الاستعمارية الي بعث الماضي والتشوق الي « الاصول الاولى » فغدا الدين مؤنلا وحصنا ، واصبح التراث الروحي رمزا للمعزة القومية ، والاتصال القومية ، ووسيلة للتعبير عن المشاعر الوطنية ، ولعب هذا الموقف من التراث الروحي دورا ايجابيا معينيا في معركة التحرر الوطني ضد الظلم الاستعماري ، اضحى « الاجلال الاعسى للماضي جزءا فعلا من الوطنية » (٦) .

عاش الدين دوره في معركة التحرر الوطني ، وعاش ايضا تناقضه مع التطور الاجتماعي والسياسي ، واذا كان قد بلغ احيانا حدود الاظلامية والتعميم والتواطؤ ، فانه قد شارف في احيان اخرى حدود العقلانية والانارة . وبشكل عام عاش الدين تناقض الواقع وتناقضه الخاص من حيث هو جزء عضوي من هذا الواقع . لعب الدين الاسلامي دورا قوميا في نضال الشعب الجزائري والمصري والباكستاني ، وكان للدين البوذي دوره كذلك ، حيث « شكل البانديت دايماناد في الهند رابطة لحماية البقر ، واعطى شعار « الديانة الهندية للهنود والسيادة على الهند للهنود » الحركة القومية الجديدة دفعة من التطرف الديني الذي لا يقبل المهادنة ، وكان من بين ردود الفعل التي نجمت عن هذه الحركة طغيان موجة من الانبعاث الديني القومي لدى المسلمين (٧) . كما قام الدين بدور هام في النضال القومي لدى الجمعيات البوذية في بورما وسيلان وكمبوديا حيث شاركت الجماعات البوذية بشكل نشيط وريادي في النضال التحرري منذ بداية القرن العشرين .